

أربعة كتب تكشف زيف الصهيونية وتدافع عن الحق الفلسطيني



ترجمات
نون بوست

ترجمة وتحرير: نون بوست

لقد أتاحت أربعة كتب تم نشرها في الأشهر الأخيرة عن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني للعالم منصة أخلاقية صلبة للبدء في إخضاع الصهيونية التي تمارس الإبادة الجماعية للمساءلة عن القتل الجماعي والإبادة التي حدثت في غزة.

وقد تكون هذه الكتب أكثر أهمية من أحكام المحاكم الدولية.

وعلى الرغم من أن هذه الكتب الأربعة قد سُبقت بمؤلفات لا حصر لها حول هذا الموضوع لمفكرين فلسطينيين بلغات متعددة وعلى منابر متعددة، إلا أن هذه الكتب الأربعة تشترك في سمتين محددتين: لم يكتب أي منها فلسطيني أو عربي أو مسلم، وجميعها نُشرت في ظل الإبادة الجماعية في غزة.

ومما لا شك فيه أن الفلسطينيين أنفسهم يظنون هم المتحدثون الرئيسيون باسم قضيتهم؛ حيث يقدمون الحجة الأكثر بلاغة ضد الأعمال الوحشية التاريخية التي عانوا منها على مدى أجيال.

لقد قدم الشعب الفلسطيني للعالم مفكرين لامعين مثل محمود درويش، وغسان كنفاني، وفدوى طوقان، وعدنية شبلي، وميشيل خليفي، ورفعت العرعير، ومي المصري، ومنى حاطوم، وإيليا سليمان، وإيميلي جاسر، وكمال الجعفري، ومصعب أبو توهة، ونزار حسن، وغيرهم الكثير ممن لا يحتاجون إلى من يتحدث باسمهم.

لقد كانت مؤسسة الباحث البارز إدوارد سعيد وحدها هي ما أحدثت تغييرًا جذريًا في لغة تفكير العالم بأسره حول وحشية الاستعمار العالمي، لا سيما في وطنه فلسطين. وجيلًا بعد جيل، حول الفنانون والمخرجون والعلماء والشعراء والروائيون والمفكرون الثوريون الفلسطينيون القضية الفلسطينية إلى انتفاضة عالمية.

لذا، إذا كان اهتمامنا الآن يتجه إلى أربعة كتب غير فلسطينيين، فهذا لا يعني أن الفلسطينيين كانوا

بحاجة إليهم، ولكن العالم كان بحاجة إليهم، لأن عولمة القضية الفلسطينية أصبحت الآن ضرورة أخلاقية لا حدود لها.

استجواب الصهيونية

تشير هذه الكوكبة من المفكرين الأربعة من غير الفلسطينيين – الحاخام شأؤول ماغيد، والكاتبان الأمريكيان بيتر بينارت وتا-نهيسي كوتس، والكاتب الهندي بانكاج ميشرا – إلى ظهور مسار مختلف يبعث الأمل وسط الظلام المرعب؛ حيث يجلس الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى جانب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مدعيًا أن غزة ملك لهم.

إن فظاعة هذا المشهد لا ينبغي أن تصرف الانتباه عن الصورة الأكبر؛ حيث تبزغ رؤية مختلفة للعالم بسرعة.

اثنان من هذه الكتب الأربعة لمفكرين نقديين يهود بارزين، أحدهما حاخام، والثالث لمؤلف أمريكي من أصل أفريقي مشهور، والرابع لمفكر هندي مشهور عالميًا، لذلك لا يمكن لأي آلة دعاية هاسبارا، أو جماعة صهيونية أو عصابة فاسدة من السياسيين الأمريكيين أن ترفض أو تنكر أو تشوه أعمالهم باعتبارها "معاداة للسامية".

إن معاداة السامية مرض غربي حقيقي، وكذلك الإسلاموفوبيا، فاليهود والمسلمون متحدون في نضالهم ضد كلا المرضين.

يبحث الكتاب الأول، وهو "ضرورة المنفى" لماغيد (2023)، في مسألة "المنفى" في سياق يهودي، ويستخدم ذلك لاستجواب المشروع الصهيوني برمته، ويضع فكرة المنفى في مصطلحات تاريخية ومعاصرة، لأن المشاكل التي تواجهها المجتمعات اليهودية حول العالم ليست سياسية فحسب، بل هي في صميم عقيدة الأجداد.

فكيف يمكن لأي إنسان محترم، لا سيما اليهودي الأخلاقي، أن يقف متفرجًا على أجيال من الفلسطينيين تذبح باسمه ويلتزم الصمت؟ إن كتاب ماغيد هو دليل تاريخي على أن مثل هؤلاء المفكرين اليهود أصحاب المبادئ لم يصمتوا أبدًا.

أما الكتاب الثاني فهو كتاب بينارت "أن تكون يهوديًا بعد تدمير غزة" (2025)، وهو عبارة عن مراجعة من مفكر أمريكي يهودي بليغ حول المخاطر التي تواجهه عقيدته بعد أن تم استغلالها وإساءة استخدامها لارتكاب القتل الجماعي وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والتطهير العرقي والآن الإبادة الجماعية.

ومن الأمور المحورية في هذا الكتاب حقيقة أنه من تأليف شخص كان صهيونيًا مخلصًا في السابق، وقد ولد وترعرع وهو يدافع عن دولة الفصل العنصري الإسرائيلي، ولم يدرك إلا في وقت لاحق من حياته أن الدولة والأيديولوجية التي كان يؤيدها هي آلة قتل وحشية.

قد نتساءل كيف فأت هذا الرجل المتعلم والمثقف بعمق موجة الأصوات الفلسطينية التي تنادي بالعدالة، وعلى رأسها منحة إدوارد سعيد التي تحظى بإعجاب عالمي هنا في جامعة كولومبيا في نيويورك، ولكن أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي أبدًا.

بينارت مثقف يهودي يحظى بإعجاب واسع النطاق، وهو مستحق لذلك؛ فكلماته البليغة تصل إلى أماكن بعيدة وعميقة في الزوايا اليهودية وغير اليهودية في هذا البلد، وهو صوت مطلوب بشدة في جوقه عالمية تطالب بالتضامن مع الفلسطينيين.

انتفاضة تاريخية

أما بالنسبة لكوتس، فقد سبق لي أن كتبت عن أهمية كتابه "الرسالة" (2024)، وإن كان ذلك من حيث

أهمية تحرره من الدعاية الصهيونية المخادعة فقط، ولكن عند وضعه في سياق هذه الكتب الأربعة، فإن كوتس يستحضر القوة الكاملة لنضالات التحرر الأمريكية الأفريقية متعددة الأجيال لتشهد على إرهاب الصهيونية التي تمارس الإبادة الجماعية في فلسطين.

غير أن النار الحقيقية تأتي من خارج الولايات المتحدة؛ حيث يقدم ميشرا نظرة مختلفة جذريًا عن التحدي الذي يواجهه العالم بالتواطؤ مع الإبادة الجماعية الإسرائيلية، وبالتالي فإنه أكثر عالمية وتحررًا في تفكيره النقدي، بعيدًا تمامًا عن المجال الأمريكي.

وفي كتابه "العالم ما بعد غزة" (2025)، يشارك ميشرا القراء كيف بدأ وعيه السياسي مقتنعًا أيضًا من خلال أسرته القومية الهندوسية بعدالة القضية الإسرائيلية، حتى أنه كان يضع صورة لزعيم الحرب الإسرائيلي موشيه ديان على حائط غرفة نومه، وهكذا يبدأ كتابه بالدخول إلى خزانة الاعتراف ومشاركة تفاصيل نشأته الصهيونية العميقة.

في كل مرة أقرأ فيها مثل هذه الاعترافات، أتساءل: على أي كوكب عاش هؤلاء الأصدقاء الأعزاء والمتعلمون قبل أن يروا النور أخيرًا؟ لكن هذا يعد ذلك مهمًا في هذه اللحظة من التاريخ. المهم هو قدرة ميشرا المذهلة على أن يكون مقنعًا وليس جدليًا، فهو يتحدث عن أخلاقيات مشتركة تستند إلى تاريخ مشترك؛ حيث يمكن للفلسطينيين والإسرائيليين على حد سواء أن يجدوا وطئًا، ليس فقط من الناحية السياسية، بل والأخلاقية.

إن الحجم الهائل للوحشية الإسرائيلية في غزة والضفة الغربية المحتلة؛ والفضاظة السافرة التي يمارسها قادة الحرب الإسرائيليين والرؤساء الأمريكيون، والتي توجت بالبلطجة الإجرامية لإدارة ترامب، كل ذلك أيقظ العالم أخيرًا، عبر الانقسامات الدينية والسياسية. إن ما تكشفه هذه الكتب التي جاءت في الوقت المناسب هو تحول في المد، ومن هنا، لا يمكن للعالم أن يغرق في بحر آخر من الجهل أو اللامبالاة.

إن هذه الانتفاضة التاريخية ضد إعادة التدوير الشرسة للقوة الاستعمارية الغربية في فلسطين لن تتوقف أبدًا، إن إنهاء الاستعمار هو قوة من قوى التاريخ التي ستكشف وتفكك أجهزة القوى الاستعمارية - في الماضي والحاضر والمستقبل.

إن العالم ينظر إلى المشهد السخيف لترامب وعشيرته من المليارديرات الفاسدين بعين الازدراء والتحدي، فهذه ليست معركة بين اليهود وغير اليهود، ولا حتى بين الإسرائيليين والفلسطينيين، إنها معركة بين الحق والباطل، والحقيقة والزيف، والواقع والخيال.

إن جميع البشر المحترمين، اليهود والفلسطينيون على وجه الخصوص، يقفون في جانب، ويواجهون جيشًا من الخداع والعنف في الجانب الآخر، إن جبهات المعركة واضحة وضوح الشمس، وكما قال مارتن لوثر كينغ الابن ذات مرة: "قوس الكون الأخلاقي طويل، لكنه ينحني نحو العدالة".

المصدر: ميدل إيست آي